حيثيات وأسباب استقالة الإبراهيمي

عمر كوش

فتحت استقالة الأخضر الإبراهيمي للبعوث العربي والأممي المشترك إلى سوريا، صفحة جديدة في الكارثة السورية، خاصة مع غياب أي تصور بديل للأمم المتحدة عن مؤتمر جنيف، الذي أعلن تشييعه رسميا، وعدم التوصل إلى تحديد خلف للإبراهيمي، ولا الخطة التي سيعمل بناء عليها.

ولم يخف من حجم المأساة إعلان الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون استقالة الإبراهيمي رسميا، وتخليه عن مهمته، اعتبارا من آخر مايو/أيار الجاري، وما يحمله من استباق لتقديم الإبراهيمي تقريره الأخير إلى مجلس الأمن الدولي.

أسباب الاستقالة

يمكن القول إن استقالة الأخضر الإبراهيمي ليست مفاجأة، بل كانت متوقعة بعد فشل مفاوضات جنيف2 في فبراير/شباط الماضي، لذلك تأخر الإبراهيمي في الإعلان عنها، واكتفى بتقديم اعتذاره للشعب السوري.

ولعل إعلان النظام الأسدي عن إجراء انتخابات رئاسية في بداية يونيو/حزيران القادم ضرب لكل الحلول السياسية بعرض الحائط، وإنهاء لأية فرصة أمام استمرار مهمة الإبراهيمي.

غير أن الإبراهيمي لم يأخذ درسا من سلوك وفد النظام الأسدي خلال جولتي التفاوض في جنيف، إذ تبين للعالم أجمع أن النظام لم يرسل وفده للتفاوض على تطبيق القرار 2118 وتطبيق بنود اتفاق جنيف1، حسبما نصت الدعوة إلى مؤتمر جنيف2، بل كي يراوغ ويماطل، في محاولة منه لتحويل قطار التفاوض عن سكة الحل السياسي، التي تفضي إلى قيام هيئة حكم انتقالية.

كما اتضح أنه ليس هناك من بين جماعة النظام من هو صاحب إدارة سياسية، أو من يهمه إيقاف سيلان نهر دماء السوريين، بل إنهم مجموعة من المتعطشين للدماء، وثلة من المتغطرسين والمدججين في بوتقة نظام فاشي، يستند إلى أسطورة، تنهض على سردية ثارية غابرة، ويستقوي على العزل بعصبية طائفية بربرية، شعارها الأساس هو الموت أو الخضوع.

وتبدو رسالة الاستقالة واضحة جدا، وتفيد بأن النظام الأسدي أغلق أبواب السياسة، ولا يريد حلولا سياسية للكارثة السورية التي سببها، كونه أعلن منذ اليوم الأول للثورة السورية الحرب الشاملة على الغالبية السوريين، وراح يرتكب الجرائم والمجازر المتنقلة من منطقة إلى أخرى، واستخدم كل أنواع الأسلحة المتوفرة لديه ضد الحاضنة الشعبية للثورة، بما فيها الأسلحة الكيميائية.

ولعل من بين أسباب الاستقالة هو إعادة إنتاج الإبراهيمي مهمة كوفي أنان، التي أعلن الأخير بنفسه فشلها سريعا، وانسحب بصمت، لكن السبب الأهم هو عجز مجلس الأمن الدولي عن القيام بمهامه حيال الأزمة السورية، بسبب الموقف الروسي الداعم للنظام الأسدي في حربه الشاملة ضد الغالبية السوريين.

هذا إضافة إلى أن مجمل الخطوات التي قام بها الإبراهيمي شخصيا، وقبوله شروط الدول المؤثرة في الملف السوري، حيث اشترط عليه ساسة روسيا أن يسير على أساس خطة أنان، وحاولوا إملاء فهمهم وتفسيرهم لاتفاق جنيف1 عليه، لذلك وقفوا ضد تشكيل هيئة الحكم الانتقالية في مفاوضات جنيف2، التي انتهت إلى فشل ذريع.

وتلحق أسباب الفشل الذي وضعه الإبراهيمي للتفاوض خلال جولتي جنيف، وهو مبدأ الرضا، الذي يقتضي موافقة الطرفين ورضاهم على أية قضية تطرح للمناقشة، فضلا عن أن كل بنود أجندة الإبراهيمي التي طرحت للتفاوض اختلف فهمها وتفسيرها ما بين فهم وفد النظام وفهم وفد الائتلاف المعارض.

فمسألة وقف العنف مثلا، أراد وفد النظام حصرها في محاربة الإرهاب، الذي يتطلب قطع الإمداد الخارجي عن المجموعات الإرهابية، وجعلها موضوع المفاوضات الحتمي، والمبرر لقتل السوريين، لذلك أصر وفد النظام على أن مصدر العنف هو المجموعات المسلحة التي تقاتل النظام، وأراد أن يتعهد وفد الائتلاف بمحاربة هذه المجموعات، وتحويل الكارثة السورية الثقافية، الناتجة عن تعامل النظام مع الأزمة الوطنية السورية، التي تمتد على طول أكثر من ثلاث سنوات، إلى قضية إرهاب، يتعرض لها هذا النظام المسكين والمسالم، الذي لم يقصف الغوطتين بالأسلحة الكيميائية، وبكافة أنواع الأسلحة المتوفرة لديه، ولا يلقي يوميا عشرات البراميل المتفجرة على المدنيين في المناطق الخارجة عن سيطرته.

ولم يجد وفد المعارضة سوى بحث مسألة تشكيل هيئة الحكم الانتقالية، وكذلك بحث مسألة وقف عنف النظام وإرهاب الدولة، الذي خلّف أكثر من 150 ألف ضحية، وهجّر وشرّد أكثر من سبعة ملايين من أماكن سكنهم إلى خارج البلاد وداخلها.

في المقابل، أفسح تعامل الولايات المتحدة الأميركية والغرب -الرخو وغير المكترث بجريان نهر الدماء السورية- المجال لروسيا كي تتمادى في دعم النظام الأسدي، بما يعني أن عدم دعم الغرب المعارضة السورية عسكريا، هو الذي شجع النظام في تماديه بارتكاب الجرائم، ورفضه أية مبادرة سياسية.

والأخطر هو تراجع الرئيس الأميركي باراك أوباما عن توجيه ضربة عسكرية للنظام الصيف الماضي، وبدلا منها راح ساسة القوة العسكرية الأكبر، والأكثر مرونة في العالم، لا يتحدثون إلا عن الحل السياسي، عبر التفاوض بيدين مقيدتين إلى الخلف، طيلة أكثر من ثلاث سنوات من عمر الأزمة السورية.

بينما أوغل النظام الأسدي في القمع والإجرام، وتمادى وصبغه الروسي في مدّه بالأسلحة التي يدفع ثمنها نظام المالكي الإيراني، بالنظر إلى الالتحاق الكلي للنظام الأسدي بنظام ولي الفقيه، المتطلّع إلى عدائه التاريخي لأبناء المنطقة وشعوبها.

وبناء على رخاوة مواقف الغرب وعدم اكتراثه بالدماء السورية، نسجت خيوط شبكة تمتد من موسكو إلى طهران ودمشق، مرورا بمليشيات حزب الله ومليشيات عراقية وسواها، حيث توزعت أدوارها، ما بين الحماية الروسية للنظام الأسدي في مجلس الأمن وسواه من المحافل الدولية، وتزويده بشحنات أسلحة فاقت كل التصورات، وبين تدفق الأموال الطائلة من إيران والعراق. والنتيجة وقوع الشعب السوري رهينة مواقف وتصرفات أصحاب هذه الشبكة الدموية.

كل ذلك أسهم في تعقيد مهمة الإبراهيمي، وفي إفشالها، خاصة في ظل تسويق مقولة لدى بعض الساسة في الدول الغربية الفاعلة، تفيد بأنه لا أحد يمتلك مفتاح حل الأزمة في سوريا، الأمر الذي يشير إلى أن قوى المجتمع الدولي أسهمت في إفشال مهمة الإبراهيمي، حيث لم تهيئ بيئة دولية داعمة لها.

والواقع أن القوى الداعمة للشعب السوري اكتفت -حتى أيامنا هذه- بتصريحات مسؤوليها وخطاباتهم اللفظية، الذين لم يذهبوا إلى أبعد من تشديد لهجة استنكارهم دموية الوضع في سوريا، حيث إن موقف الإدارة الأميركية حيال النظام السوري لم يقترن بالعمل الجاد في البحث عن مخرج سلمي للأزمة السورية.

لذلك، فإن تساؤلات عديدة تثار بشأن أسباب إحجام الإدارة الأميركية عن اتخاذ مواقف حازمة، كتلك التي اتخذتها حيال أزمات دولية أخرى، الأمر الذي يطرح مسألة اختلاف المعايير في المواقف حول الأزمات الدولية، وخصوصا في جانبها الأخلاقي الإنساني.

الشخصية البديلة

استند الإبراهيمي إلى خبرته الدبلوماسية في التعامل مع الأزمات الدولية، لكن المسألة السورية مختلفة عن سائر الأزمات الأخرى التي تعامل معها، لذلك لم يُجده نفعا اعتماده ببلوماسية توافقية مرنة، فضت بعدم وضع أي شروط مسبقة، يمكن أن يرفضها أي طرف في الأزمة وتعرقل سير مهمته، كونها أرادت تحقيق القليل من التقدم في الحل، ولو بشكل بطيء، ومع ذلك انتهت مهمته إلى الفشل.

وفور إعلان الاستقالة بدأت الوساطات الدولية المعنية في البحث عن شخصية بديلة، مع أن حل المسألة السورية لا يتوقف على اختيار شخصية قوية لتحل مكان الإبراهيمي، بل في توفر إرادة دولية داعمة بالقول والفعل للحل السياسي.

ويجري الحديث حول أن يكون الخلف عربيا، حيث يتردد اسم كمال مرجان، الذي يقترن اسمه بماضيه المثقل، كوزير في عهد الرئيس "الهارب" زين العابدين بن علي، كما يتردد اسم سعيد جيبنيت، الجزائري الجنسية، والموظف الدولي.

غير أن من يخلف الإبراهيمي ليس بالضرورة أن يكون عربيا، لأن مهمته تتطلب شخصا يتحلى بصفات الجرأة والرؤية، والإقدام على خطوات واضحة، يمكنها إيقاف الكارثة السورية.

وهناك من يتحدث عن ضرورة اختيار شخصيات سياسية عالمية، مثل "كيفن رود" رئيس الوزراء الأسترالي السابق، و"خافيير سولانا الوزير الإسباني السابق، حيث لا يوافق نبيل العربي الأمين العام لجامعة الدول العربية على الإصرار أن يكون خلف الإبراهيمي عربيا بالضرورة، ويفضل أن يكون الخلف على مستوى رئيس جمهورية سابق، أو رئيس حكومة سابق، كي يكون له تأثير.

والواقع أن المشكلة لم تكن في اختيار الإبراهيمي، ولن تكون أيضا في اختيار شخصية جديدة، تتصدى لمهمة البحث عن مخرج سياسي للأزمة، المشكلة في كيفية إجبار النظام الأسدي وداعميه -الروسي والإيراني- على التوقف عن الإمعان في الحرب الشاملة والمدمرة ضد الغالبية الشعب السوري، الأمر الذي يتطلب إرادة دولية حازمة، توقف الفشل الذريع للمجتمع الدولي حيال الكارثة السورية.

ويكشف واقع الحال في سوريا، أنه لا يمكن معالجة المشاكل والأزمات التي يتعرض لها السوريون بنتائجها، إلا بالقفز عن مسبباتها، والتغاضي عن الحرب الشاملة ضد المحتجين والثوار، التي بدأها النظام الأسدي منذ اندلاع الثورة السورية.

كما لا يمكن لعاقل أن يختصر الكارثة السورية في مسألة إرهاب مدعوم عربيا ودوليا، إلا إذا صدقنا أن النظام يمكن أن يتحول من قاتل، دمر معظم المدن والبلدات السورية وهجر ملايين السوريين، إلى ضحية وبيعة تدافع عن أغلبية السوريين، الذين تحولوا وفق هذا المنطق من ضحايا نظام ظالم وديكتاتوري إلى مجرمين وإرهابيين، يستحقون القتل والإبادة والتشريد.

وبالتالي، فإن العنف هو العلاج الوحيد لسلوكهم الإجرامي، بغية استعادة أمن البلاد واستقرارها، وإعادة الجميع إلى مظلة النظام الظالم، الجاثم على صدور السوريين منذ أكثر من أربعة عقود من الزمن.

عن «الجزيرة نت»

الذئاب لا تقرأ الخرائط!

د. محمد الرميحي

ينقل عن الرئيس التاريخي الأسبق لفرنسا الجنرال ديغول قوله: إذا أردت أن تعرف ما يجري حولك، فانظر إلى الخريطة، فالحركة فيها وحولها تحدد لك مسار الأحداث.. وليس أفضل من تلك النصيحة لفهم ما يحدث في الشرق الأوسط اليوم. فالناظر في خريطة الشرق الأوسط يرى أن هناك احتداما واضحا يستخدم فيه السلاح والدبلوماسية معا بين عدد من القوى ترغب أن تحصل على قطعة من «كعكة» الشرق الأوسط الشهية، تدفع هذه القوى في الأساس مصالحها القومية، وتتذكر بعدد من السوائر الأيديولوجية أو حتى الأخلاقية. على رأس القوى قوتان لهما ماض إمبراطوري يرغبان في إحيائه على حساب شعوب ومصالح العرب في الشرق العربي. قوة صغيرة نسبيا وقوة كبيرة نسبيا، ولكن كلا منهما «يخطط وينفذ» ولا يرغب فقط، أن يكون له «قيمة» على الشرق العربي وموارده وإنسانه، على خلفية قراءة استراتيجية تفترض أن هذا العالم العربي ضعيف المناعة ومفكك ولا يقوى على المقاومة.

القوة الأولى لا ريب هي إيران، فليس بخاف أنها موجودة ومؤثرة في العراق ولبنان وسوريا، ولها أياد في أكثر من مكان في جيب بعض الدول العربية الأخرى. هي في الواقع تعبث بالجسم العربي تقريبا كيفما تشاء، إما بسبب قبول ورضا بعض العرب في الخضوع لتبعيتها، أو بسبب تجاهل هذا العبث حتى لا يثار الأسد الإيراني أكثر مما هو ثائرا يكفي أن تتذكر تصريحات الجنرال يحيى رحيمي، القائد السابق للحرس الثوري، الذي تحدث عن الإمبراطورية التي تطل على شواطئ البحر المتوسط.

القوة الثانية هي روسيا فهي «تخطط وتنفذ» لا ترغب فقط، في أن تضع أرجلها في المياه الدافئة، وقد فعلت ذلك بنجاح نسبي في البحر الأسود، عندما استولت أمام العالم على شبه جزيرة القرم، وتحتفظ بموقعها على الجانب الشرقي من المتوسط، على الساحل السوري، وتدافع عن ذلك بصلف حتى في مجلس الأمن، كما تشتهي أن تستفيد من خطايا العرب في التمدد إلى الساحل العربي في شمال أفريقيا من البحر الأبيض. ذلك كله ليس سرا ولكنه مشاهد في العلن ويتصف بنجاحات كل يوم. تربك روسيا الغرب أيضا في أوكرانيا، فيقوته الجائزة الغربية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

على الجانب الآخر من المعادلة نجد الطرف العربي، وهو ينقسم إلى ما يمكن أن يسمى «العربية الرسمية» الأكبر والأكثر، أي مجموعة الدول العربية المستهدفة وردود فعلها الرسمية، والقسم الثاني ما يمكن تسميته «بالعرب الذئاب» وهم تلك المجموعات والقوى غير المتناغمة، إلا في الحدود الدنيا، والتي أصبحت تسمى عالميا في وسائط الإعلام «الإرهابيين» وتتشكل قواتهم من «إرهاب ناعم وآخر خشن» يبحثون عن طرائدهم حاملين طفيليانهم الفكرية. الاثنان، العربية الرسمية والعرب الذئاب، يشتركون في رؤية ناقصة أو قاصرة عن قراءة الخارطة.

العربية الرسمية إما غافلة عن قراءة الإستراتيجية البعيدة للاندفاع الصاخب للقوتين، الصغرى والكبرى، في خاصرتهم، مشغولون بأنفسهم، أو غير قادرين على توحيد صفوفهم لمواجهة ذلك الاندفاع، مختلفون على التفاصيل الصغيرة.

أتيح في الخلفية أن ثمة مشروعا من قبل «العربية الرسمية» لمواجهة ذلك الاندفاع الصاخب من القوتين، ربما يتمثل في التفكير الاستراتيجي الذي ظهر من مجموعة مقابلات المرشح المصري لرئاسة الجمهورية عبد الفتاح السيسي.. أرى أن هناك محاولات لوقف الاندفاع بإعادة رص صفوف العرب القابلين بالتعاون، من أجل تحقيق هدفين استراتيجيين: الأول سد الباب أمام اندفاع «الرأسين»، والثاني تصفية قطعان الذئاب إلى أي مذهب استندوا، أو خلف أي ساتر قبعوا.

الإرهاصات الأولى لذلك التعاون، الذي قد يؤدي إلى استراتيجية متكاملة، ظهرت تباشيره في مكانين: الأول التمرين العسكري المشترك «المصري الإماراتي» وبعده التمرين المشترك «المصري البحريني» الذي لخص التوجه إليه عبد الفتاح السيسي في مقابلة الـ«سكاي نيوز» أخيرا بأنه «مسافة السكة»! واضح أن هذا التفكير الجنيني ربما يتبلور فيما بعد الانتخابات المصرية المقبلة، وفي حال نجاح السيسي ليس فقط نجاحا رقميا، ولكن بنسب عالية من أصوات المصريين، تتعزز الإستراتيجية لدعم التفكير الجديد.

الموقف العربي الرسمي، أو على الأقل القوى المؤثرة فيه والمستهدفة من اندفاع الرأسين (الإيراني، الروسي)، يحتاج إلى أن يقرأ الخارطة بدقة من أجل بذل الجهود ورص الصفوف وحشد الإمكانيات، والظهور للعالم بأجندة استراتيجية موحدة وقابلة للتطبيق. المشكلة أن هذا المشروع العربي المأمول يواجه بحركة الثقافية من «الذئاب العرب»، والقصد هنا ما يسمى إعلاميا وعالميا بـ«قوى الإرهاب» الذي نال من الجسم العربي حتى كاد يودعه، فلم يعد فيه مكان إلا معطوبا بآثار نهش «الذئاب». هذه الذئاب هي مدفع منفلت، يضرب بعشوائية، ومستعدة للقتل والتخريب، حتى الذئاب الحيوانية لا تقتل إلا عندما تجوع، الذئاب العربية تقتل حتى وهي شبعى وفي عقر دارها. عطالة التفكير لدى هذه المجموعات تسهل، من حيث تدري أو لا تدري، اندفاع المشروع التوسعي ذي الرأسين، فهي عاجزة أصلا عن قراءة الخرائط الإستراتيجية.

من نافلة القول أن القوى التي كانت تسمى عظمى، سواء أوروبا الموحدة أو الولايات المتحدة، تقف عاجزة أمام شهية القوتين (الصغرى والكبرى) المفتوحة.. القوى العظمى في تراجع مستمر.

«دعك من الموضوع العربي في سوريا، خذ أيقونة تحرير الشعوب الأوروبية المضطهدة أيام الاتحاد السوفياتي (على رأسها أوكرانيا) هذه الدولة تقضم اليوم شبرا فشبرا من الدب الروسي، وما إن يهضم جزءا منها حتى يلتفت إلى الجزء الآخر، أمام عجز تاريخي للقوى التي لا تجد غير التهديد والوعيد، والخارطة الأوروبية تتغير. هجوم الذئاب لم يعد مقصورا على ساحات الحرب، بل أصبح في شوارع المدن، فمصر تعاني منه، ويعطل من حركتها تجاه بناء منظومة استراتيجية ثابتة لمواجهة اندفاع الرأسين، كما تظهر بؤر أعمال الذئاب على وجه العديد من العواصم والمدن العربية، حتى التي كانت آمنة إلى فترة قريبة! تحت أقدام الذئاب حشد من التفكير الأعمى والبصيرة القاتمة، تجعل جزءا من الجمهور العربي قابلا بأفعالها، وجزءا من الشباب راغبا في الانضمام إليها، ليس من الفضاء العربي ولكن أيضا من دول العالم، فيما يعرف الآن في الأدبيات خطأ بـ«الإرهاب المسلم»! الذي يشيع طائفية بغيضة تمهد لتغير الخارطة، كما حدث في السودان، وقد تتكرر في أماكن أخرى.

الوقوف أمام اندفاع الرأسين في خاصرتنا العربية لا يحتاج فقط إلى القوة، ولكن قبلها يحتاج إلى العقل، والعلم بالشيء، ثم إلى خطة واضحة إعلامية وتربوية متكاملة وقابلة للتنفيذ تحشد كل الإمكانيات للحفاظ على أمن عربي يجنب العرب الاستباحة المفروضة عليهم.

آخر الكلام:

مبكرا في هذا المكان وفي 18 ديسمبر (كانون الأول) 2012 كتبت «سوف يتعب الأخضر الإبراهيمي في جولاته، وسوف تشرف مفرداته الدبلوماسية على الجفاف، بعد حين لن يجد الكلمات التي تعبر عما يشاهد أو يسمع» وبعد سنتين طويلتين أزهقت فيهما أرواح بريئة... قدم الإبراهيمي استقالته!

عن "الشرق الأوسط" اللندنية

مستقبل سياسة الدفاع الأمريكية بعد أزمة أوكرانيا

طارق راشد عليان

كان هناك افتراض دائم بأن الحرب التقليدية بين البلدان المتقدمة قد انتهت مع نهاية الحرب الباردة. وبدا لدى البعض أن الغرض الأساسي من الجيوش هو القيام بعمليات أخرى غير الحرب، مثل حفظ السلام، والإغاثة في حالات الكوارث، وتغيير الأنظمة القمعية.

بعد أحداث 11 سبتمبر، بدأ كثيرون يتحدثون عن الحرب غير المتماثلة والحرب طويلة الأمد، حيث ستشارك الولايات المتحدة الأمريكية- تحت مظلة هذه النماذج من الحروب- في أنشطة مكافحة الإرهاب في منطقة واسعة من العالم الإسلامي لفترة طويلة جدًا. وبدا صراع الند للند peer-to-peer conflict قد عفى عليه الزمن.

لقد كانت هناك فكرة رايكالية عميقة متأصلة في طريقة التفكير هذه، حيث بدت الحروب بين الدول أو السلالات الحاكمة حالة ثابتة في أوروبا، ولم تكن بقية العالم أقل عنفًا. كان لكل قرن حروبه النظامية systemic wars التي شارك فيها النظام الدولي بأسره (وقد هيمنت أوروبا على هذه الحروب بصورة متزايدة منذ القرن السادس عشر)، فوقعت الحربان العالميتان في القرن العشرين، والحروب النابليونية في القرن التاسع عشر، وحرب السنوات السبع في القرن الثامن عشر، وحرب الثلاثين عامًا في القرن السابع عشر.

وفي هذا السياق، لفت جورج فريدمان، في تحليل له نشره موقع "ستراتفور" المعني بالتحليلات السياسية والاستخبارتية، إلى أنه كانت وجهة نظر أولئك الذين جادلوا بأن سياسة الدفاع الأمريكية يجب أن تحوّل تركيزها بعيدًا عن صراع الند للند والحرب النظامية تفيد بأن العالم قد دخل حقبة جديدة، بحيث أصبحت الممارسات الشائعة في السابق أمرًا نادرًا، أو بات غير موجود.

وأشار المحلل الأمريكي إلى أن الحروب التي شاعت في السابق أصبحت لا تتضمن دولا، وإنما جماعات غير وطنية، وبالتالي لن تكون هناك حرب نظامية. وبحسب الكاتب، فإن من أطلقوا هذا الرأي لم يدركوا طبيعته الرايكالية، ونادرًا ما كان يُنظر إلى سياسة الدفاع الأمريكية التي أخذت به على أنها غير ملائمة، وإذا كانت الولايات المتحدة ستشارك بشكل رئيسي في عمليات مكافحة الإرهاب في العالم الإسلامي على مدى السنوات الخمسين المقبلة، فمن الواضح أننا في حاجة إلى قوات عسكرية مختلفة جدًا عما نملكه اليوم، على حد قول الكاتب.

ولوضح فريدمان: هناك سببان وراء هذا الرأي، أولًا: يهيمن على المخططين العسكريين هاجس دائم بأنهم في حالة حرب، ومن العادات الإنسانية النظر إلى المهمة العاجلة كمهمة دائمة. وخلال الحرب الباردة، كان من المستحيل أن يتصور أحد كيف ستنتهي. وخلال الحرب العالمية الأولى، كان من الواضح أن الحرب الثابتة التي هيمن عليها الأسلوب الدفاعي هي النموذج الجديد للحرب الدائمة. ويؤكد فريدمان ضرورة تعديل فكرة أن الجنرالات دائما ما يقاتلون في حروبهم الأخيرة، إلى القول إن الجنرالات دائما ما يعتقدون أن الحرب التي يقاتلون فيها هي الحرب الدائمة. وبرغم كل شيء، فإن الحرب هي التي مثلت تتويجًا لحياتهم المهنية. وبدا سخيفًا أن يتخيلوا حروبًا أخرى أثناء مشاركتهم في هذه الحرب، ولن يشاركوا بالفعل في حروب مستقبلية، وفقًا للتحليل.

والسبب الآخر يكمن، بحسب فريدمان، في عدم وجود دولة قومية في وضع يمكّنها من تحدي الولايات المتحدة عسكريًا. فبعد انتهاء الحرب الباردة، كانت الولايات المتحدة في موقف قوي منفرد. ولكن مع مرور الوقت، ستزيد الدول الأخرى من قوتها، وتشكل تحالفات وائتلافات لتتحدى الولايات المتحدة.

ومهما تكن الفوائد المكتسبة جرّاء ظهور قوة رائدة- والولايات المتحدة ليست رائدة بشكل استثنائي برأي الكاتب- فستخشاها دول أخرى أو تبدي استياءها منها، أو تلحق العار بسلوكها. إن فكرة عدم قيام الدول القومية الأخرى بتحدي الولايات المتحدة بدت معقولة خلال السنوات العشرين الماضية، ولكن الحقيقة هي أن الدول ستواصل السعي وراء تحقيق مصالحها التي تتعارض مع المصالح الأمريكية، وهو ما سيشكّل، بحكم التعريف، تحدي الند للند. من الممكن أن تكون الولايات المتحدة قوة ساحقة، ولكن هذا لا يجعلها قوة قاهرة، على حد قول فريدمان.

حرب نظامية أم غير متماثلة

وأشار فريدمان إلى ضرورة تذكر أن الحرب غير المتماثلة والعمليات غير الحربية وُجدت دومًا خلال حروب الند للند، والحروب النظامية. خاض البريطانيون حربًا غير متماثلة في كل من أيرلندا وأمريكا الشمالية في سياق حرب الند للند مع فرنسا، وخاضت ألمانيا حربًا غير متماثلة في يوغوسلافيا في الوقت الذي كانت تخوض فيه حربًا نظامية في الفترة من 1939 إلى 1945. كما خاضت الولايات المتحدة حروبًا غير متماثلة في الفلبين، ونيكاراجوا، وهايتي، وأماكن أخرى في الفترة من 1900 إلى 1945.

إن الحرب غير المتماثلة ليست نمطًا جديدًا من الحروب، برأي فريدمان، وإنما بُعد دائم من الحرب. وتعد حروب الند للند، والحروب النظامية ملامح ثابتة أيضا، ولكنها أقل حدوثًا/ كما أنها مهمة للغاية. كانت نتيجة الحروب النابليونية بالنسبة لبريطانيا أهم بكثير من نتائج الثورة الأمريكية. وكانت نتيجة الحرب العالمية الثانية أكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة من تدخلها في هايتي. هناك الكثير من الحروب غير المتماثلة الأخرى، ولكن الهزيمة فيها لا تعني تغيير القوة الوطنية. أما إذا خسرت حربًا نظامية، فمن الممكن أن تكون النتيجة كارثية.

وأوضح فريدمان أنه من الممكن أن تؤدي الحرب التي تحدد القوة والنظام الدولي إلى نتائج كارثية لا رجعة فيها، ويمكن أن تتسبب الحروب غير المتماثلة في إثارة مشاكل ووقوع إصابات، ولكن هذه أقل آثارها. ويرى الكاتب أنه يتعين أن يضع القادة العسكريون ومسئولو الدفاع، الذين تتملكهم اللحظة الآنية، في حسبانهم أن الحرب التي يخوضونها حاليًا قد لا تُذكر كثيرًا، وأن السلام الذي تقدر على تحقيقه الآن نادرًا ما يدوم. ومن المرجح أن يكون الاعتقاد بأن أي نوع من الحروب قد عفى عليه الزمن مجرد اعتقاد خاطئ.

الدرس الأوكراني

وقد حملت الأزمة في أوكرانيا درسا للولايات المتحدة، ويؤكد فريدمان أنه لن تكون هناك حرب بين الولايات المتحدة وروسيا على أوكرانيا. فلا يوجد للولايات المتحدة أي مصلحة هناك لتبرير الحرب، ولا يقف البلدان في موضع يساعدهما على شن حرب عسكرية. فالولايات المتحدة لم تنشر قواتها للحرب، والروس ليسوا على استعداد لمحاربة الأمريكان.

وتشير الأحداث في أوكرانيا إلى بعض الحقائق. أولًا: حدث تحوّل في قوة روسيا، حيث زادت من قدراتها العسكرية منذ عقد التسعينيات. ثانيًا: عادت المصالح المتباينة بين البلدين إلى الظهور مرة أخرى، بعد أن كانت قد اختفت في التسعينيات. ثالثا: ستتسبب هذه الأزمة في دفع كل جانب إلى إعادة النظر في استراتيجيته وقدراته العسكرية، وأي أزمات مستقبلية قد تؤدي إلى حرب تقليدية، على الرغم من وجود الأسلحة النووية.

وأوضح فريدمان أن أوكرانيا تذكرنا بعدم استبعاد صراع الند للند، وأن وضع استراتيجية وسياسة دفاع، بناء على افتراض بعدم نشوء هذا النوع من الصراع، ليس له الكثير من الأدلة التي تدعمه في الواقع. لم يحدث تبدل للحالة الإنسانية بسبب الانقطاع لفترة عن تحدي الولايات المتحدة. وبعد العقدان الماضيان مجرد استثناء للقاعدة الشئون العالمية التي تحددها الحرب.

السيطرة على البحار

أكد المحلل الأمريكي ضرورة بناء الاستراتيجية الوطنية الأمريكية على السيطرة على البحار. فالمحيطات تحمي الولايات المتحدة من كل شيء باستثناء الإرهاب والصواريخ النووية، وتعد الإساطيل المعادية أكبر تحد لسيطرة الولايات المتحدة على البحار. وأفضل طريقة لهزيمة الأساطيل المعادية هي الحيلولة دون بنائها. وأفضل طريقة للقيام بذلك، برأي الكاتب، هي الحفاظ على توازن القوى في أوراسيا، و ضمان استمرار التوترات داخل هذه المنطقة، بحيث يتم إنفاق الموارد على صد التهديدات البرّية، بدلا من بناء الأساطيل.

وبالنظر إلى التوترات الكامنة في أوراسيا، يرى فريدمان أن الولايات المتحدة ليست بحاجة إلى القيام بفعل أي شيء في معظم الحالات، ويتعين عليها في بعض الحالات إرسال المساعدات الاقتصادية أو العسكرية إلى أحد الطرفين أو كليهما. وفي حالات أخرى، تكتفي بإسداء النصح.

استراتيجية الولايات المتحدة في أوراسيا

الهدف الرئيسي هنا، بحسب فريدمان، هو تجنب ظهور قوة إقليمية مهيمنة آمنة تمامًا ضد التهديدات البرية، وتتمتع بالقوة الاقتصادية، بحيث تتحدى الولايات المتحدة في البحر. كانت استراتيجية الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى هي رفض المشاركة، حتى بدأ مع زيادة العدوان الألماني على البحار، أن الهزيمة ستكون من نصيب البريطانيين والفرنسيين، أو تتعرض الممرات البحرية للإغلاق. عند هذه المرحلة، تدخلت الولايات المتحدة لمنع الهيمنة الألمانية.

وفي الحرب العالمية الثانية، ظلت الولايات المتحدة بعيدة عن الحرب، حتى انهارت الدولة الفرنسية، وبدا أن الاتحاد السوفيتي سينهار، وكان لا بد من القيام بعمل شيء. حتى ذلك الحين، لم يوافق الكونجرس على خطة روزفلت للتدخل عسكريًا في قارة أوروبا، إلا بعد إعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة، بعد الهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربور. وعلى الرغم من العمليات في البحر المتوسط، لم تتدخل القوة الرئيسية للولايات المتحدة حتى عام 1944 في نورماندي، بعد ضعف الجيش الألماني بشدة.

ولإنجاح هذه الاستراتيجية، التي ورثتها الولايات المتحدة عن بريطانيا، يرى فريدمان أن الولايات المتحدة تحتاج إلى حلفاء فعالين وذوي صلة. تفترض استراتيجية توازن القوى أن هناك حلفاء أساسيين لديهم مصلحة في الانحياز إلى الولايات المتحدة ضد خصومها في المنطقة. والحلفاء "الفاعلون" هم القادرون على الدفاع عن أنفسهم إلى حد كبير، فالتحالف مع دول عاجزة لا يحقق الكثير. أما الحلفاء "ذوو الصلة"، فهم الذين يقعون في مناطق جغرافية حسّاسة للتعامل مع أصحاب المشروعات التوسعية الخطيرة.

وإذا افترضنا أن الروس من أصحاب المشروعات التوسعية الخطيرة، فسيكون المقصود بالحلفاء ذوي الصلة هم الدول التي تقع في محيط روسيا، وتضيف البرتغال أو إيطاليا، على سبيل المثال، وزنًا قليلا إلى المعادلة. وبالنسبة للفعالية، يجب أن يكون الحلفاء على استعداد لتقديم التزامات رئيسية بالنسبة للدفاع الوطني عن أراضيهم. وعلى ذلك، تتمثل العلاقة الأمريكية في جميع التحالفات في أن نتائج الصراعات يجب أن تكون ذات أهمية أكبر للحليف عن الولايات المتحدة، بحسب الكاتب.

الفكرة هنا، برأي الكاتب، هي أن حلف شمال الأطلسي "الناتو"، الذي كان ذا قيمة عظيمة، خلال الحرب الباردة، قد لا يكون بمنزلة أداة ذات صلة أو فعالية في مواجهة جديدة مع الروس. فالعديد من أعضاء الحلف في مواضع جغرافية لا تساعدهم على المساعدة، وأغلبهم غير فعالين عسكريًا، فهم لا يستطيعون تحقيق التوازن مع الروس. وبما أن الهدف من استراتيجية توزان قوى فعالة هو تجنب الحرب، مع احتواء أي قوة صاعدة، فإن فريدمان يرى أن انعدام وجود الردع الفعال يعد قضية مهمة للغاية.

لا يمكننا التأكد بأي وسيلة من أن روسيا تمثل تهديدًا رئيسيًا للقوة الأمريكية. سيشير الكثيرون إلى الصين، ولكن جورج فريدمان يرى أن الصين تمتلك قدرات محدودة على تشكيل تهديد بحري للولايات المتحدة، في الوقت الحاضر، من خلال الخصائص الجغرافية لبحار جنوب وشرق الصين. هناك الكثير من نقاط الاختناق التي يمكن إغلاقها. علاوة على ذلك، من الصعب أن نتخيل إحداث توازن في القوى العسكرية البرية. ولكن لا يزال المبدأ الأساسي الذي وصفه الكاتب قائما، بمعنى أن الولايات المتحدة تدعم دولا، مثل كوريا الجنوبية واليابان، التي لها مصلحة في احتواء الصين.

في هذه الحالات المحتملة وغيرها، فإن المشكلة القصوى بالنسبة لمشاركة الولايات المتحدة في أوراسيا هي المسافة، فالأمر يستغرق وقتًا كبيرًا جدًا لنشر قوة عالية التقنية إلى هناك. ويجب أن تكون عالية التقنية، لأن القوات التي ستشتبك مع الولايات المتحدة في أوراسيا ستفوقها عددًا على الدوام. ويرى فريدمان أنه يتعين أن يكون لدى الولايات المتحدة مضاعفات للقوة. في كثير من الحالات، لا تلجأ الولايات المتحدة إلى خيار التدخل، ولكن أي عدو محتمل يخلق ظروفًا تجعل من التدخل عملًا ضروريًا. وبالتالي، لا يعرف المخططون أين سيتم خوض الحرب. ولا نوع القوة التي سيواجهونها. الشيء الوحيد المؤكد، بحسب التحليل، هو أن مكان المواجهة سيكون بعيدًا جدًا، وسيستغرق الأمر وقتًا لبناء قوة. خلال عملية "عاصفة الصحراء" في العراق، استغرق الأمر ستة أشهر لشن الهجوم.

وأكد فريدمان أن الاستراتيجية الأمريكية تتطلب قوة تمكّنها من إظهار قدرات ساحقة، دون تأخير كبير، في أوكرانيا، على سبيل المثال، إذا كانت الولايات المتحدة قد اختارت الدفاع عن شرق أوكرانيا من الهجوم الروسي، لكان من المستحيل نشر هذه القوة، قبل استيلاء الروس عليها، ولكان من المتعذر شن هجوم ضد الروس في أوكرانيا. وبالتالي، تشكل أوكرانيا مشكلة استراتيجية للولايات المتحدة، برأي فريدمان.

مستقبل سياسة الدفاع الأمريكية

أفاد فريدمان بأن الولايات المتحدة ستواجه صراعات الند للند، أو حتى صراعات نظامية في أوراسيا. وكلما سارعت الولايات المتحدة بتحضير قوة حاسمة، انخفضت التكلفة بالنسبة لها. ولا تختلف استراتيجية القتال في الحرب التقليدية الحالية عن تلك التي سادت في الحرب العالمية الثانية، حيث تعتمد اعتمادً